الإصدار الرابع
المجلد (2) العدد (1)
25 يناير 2026

المجلة السعودية للدراسات التربوية والإنسانية

طرق القوافل والمحطات التجارية المرتبطة مع فزان

نوري عبد السلام أحمد الضعواني
قسم التاريخ - ليبيا

الملخص
إن الحديث عن جغرافية ومناخية فزان، يتضح لنا في معرض ذلك أن البيئة الجغرافية لفزان امتازت بتنوع في امكانيات اقتصادياتها المتبادلة. وأن هذا التباين في الامكانيات كان سابق أسباب قيام حركة تبادل واسعة النطاق، حيث تمد المناطق المجاورة لها بما لا توفر في أراضيها من منتجات، وفي المقابل تستجلب ما تحتاجه منه. هذا التنوع البيئي والاقتصادي الذي شمل الانتاج الزراعي، الحيواني، الحرفي، يؤكد لنا أن نوع السلع والمعروضات التجارية التي كان يدور حولها النشاط التجاري بفزان، إنما كانت تشمل المنتجات الزراعية التي تزخر بها هذه المنطقة، مثل الحبوب، والتمور، ومن المنتجات الحيوانية مثل الجلود والمصنوعات التي أقيمت عليها، بهذا المعنى إذن اعتبرت التجارة من أهم الموارد التي اعتمدت عليها فزان، خاصة فترة حكم الدولة الخطابية بها، ذلك أنه ليس من المستبعد أن تكون قد سيطرت على الطرق التي تمر بها هذه التجارة عبر الصحراء الكبرى. فقد كانت هناك تجارة داخلية متمثلة في الأسواق المحلية التي يرتادها الناس في المحلات القريبة منهم. والتي عن طريقها كانت حركة الاستيراد والتصدير. والظاهر فيما يبدو أنه من خلال هذه الاستقراءات، لم نقف على أي إشارة تدل على تنقل تجار فزان داخليا، باستثناء تلك الاشارات التي تدل على أن تجارها كانوا يرتادون تجارتها الخارجية، تهدف الدراسة إلى إبراز ما اعتمدناه مصادرا لنا في مقاربة موضوع الدراسة حول إعادة بناء الصورة التاريخية التي نسجتها سياسة الدول المتعاقبة في فزان، خاصة ما تعلق منه بالجزء المتمثل بتطور نظام إدارة القوافل التجارية مما جعل منها محطة عبور وسوقا صحراوية، ونقطة لتنظيم المعاملات التجارية بين موانئ الشمال ومناطق جنوب الصحراء، هو في تقديرنا المتواضع خطوة منهجية أساسية تستحق كل العناية والاهتمام في دائرة البحث التاريخي الموصول بالتاريخ الوطني الليبي. خطوة لا نجاوز الصواب عندما نصفها بتصحيح جوانب الصورة التاريخية التي ركبها البحث الاستشراقي الأجنبي حول فزان، والتجارة البينية التي تتم عبرها.
الكلمات المفتاحية: طرق، القوافل، المحطات، التجارية

Abstract:
At this stage of the study, it is useful to define, as clearly as possible, the phenomenon of urbanization. This phenomenon stands apart from others in the relationship between the city and urbanization because it is extremely complex. This complexity emerges from its multifaceted dimensions, the overlapping of its causes and sources, the intricate web of its direct and indirect interactions and effects, and the varying levels at which it occurs, both in terms of scope and intensity. It is worth noting that the concepts of city and urbanization are often confused, intentionally or unintentionally, leading some to consider them synonymous, even though they are certainly not. It is therefore beneficial and

necessary to emphasize here the importance of clarifying these terms in general and focusing on their proper usage.

This study aims to highlight the sources we relied upon in approaching the subject of reconstructing the historical image shaped by the policies of the Ghadames people in Ghadames, particularly concerning the development of the caravan management system that transformed it into a transit point and desert market. It also serves as a hub for organizing trade between northern ports and the southern Sahara regions. In our humble opinion, this is a fundamental methodological step deserving of careful attention within the realm of historical research connected to Libyan national history. It is not an exaggeration to describe it as a correction of aspects of the historical image constructed by foreign Orientalist research regarding the founding period of Ghadames and the inter-regional trade conducted through it.

Keywords: Ghadames, Ain, Al-Faras, roads, and trading posts

المقدمة :

إن الحديث عن جغرافية ومناخية فزان، يتضح لنا في معرض ذلك أن البيئة الجغرافية لفزان امتازت بتنوع في امكانيات اقتصادياتها المتبادلة. وأن هذا التباين في الامكانيات كان سابق أسباب قيام حركة تبادل واسعة النطاق، حيث تمد المناطق المجاورة لها بما لا توفر في أراضيها من منتجات، وفي المقابل تستجلب ما تحتاجه منه. هذا التنوع البيئي والاقتصادي الذي شمل الانتاج الزراعي، الحيواني، الحرفي، يؤكد لنا أن نوع السلع والمعروضات التجارية التي كان يدور حولها النشاط التجاري بفزان، إنما كانت تشمل المنتجات الزراعية التي تزخر بها هذه المنطقة، مثل الحبوب، والتمور، ومن المنتجات الحيوانية مثل الجلود والمصنوعات التي أقيمت عليها.

بهذا المعنى إذن اعتبرت التجارة من أهم الموارد التي اعتمدت عليها فزان، خاصة فترة حكم الدولة الخطابية بها، ذلك أنه ليس من المستبعد أن تكون قد سيطرت على الطرق التي تمر بها هذه التجارة عبر الصحراء الكبرى. فقد كانت هناك تجارة داخلية متمثلة في الأسواق المحلية التي يرتادها الناس في المحلات القريبة منهم. والتي عن طريقها كانت حركة الاستيراد والتصدير. والظاهر فيما يبدو أنه من خلال هذه الاستقراءات، لم نقف على أي إشارة تدل على تنقل تجار فزان داخليا، باستثناء تلك الاشارات التي تدل على أن تجارها كانوا يرتادون تجارتها الخارجية.

تهدف الدراسة إلى إبراز ما اعتمدناه مصادرا لنا في مقاربة موضوع الدراسة حول إعادة بناء الصورة التاريخية التي نسجتها سياسة الدول المتعاقبة في فزان، خاصة ما تعلق منه بالجزء المتمثل بتطور نظام إدارة القوافل التجارية مما جعل منها محطة عبور وسوقا صحراوية، ونقطة لتنظيم المعاملات التجارية بين موانئ الشمال ومناطق جنوب الصحراء، هو في تقديرنا المتواضع خطوة منهجية أساسية تستحق كل العناية والاهتمام في دائرة البحث التاريخي الموصول بالتاريخ الوطني الليبي. خطوة لا نجاوز الصواب عندما نصفها بتصحيح جوانب الصورة التاريخية التي ركبها البحث الاستشراقي الأجنبي حول فزان، والتجارة البينية التي تتم عبرها.

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي من وجه أول، والمنهج التحليلي من وجه ثان. إنهما معا الوجهان اللذين يؤلفان البناء المنهجي للدراسة، وذلك لما يتضمنه من نصوص وآراء تحتاج إلى تحليل واستخلاص النتائج على قدر من الأهمية من بعض الأحداث التي وردت في بعض المصادر بشكل عرضي دون أن تعطي تلك المصادر الصورة المثلى لما نصبوا إليه من معلومات أو حقائق في حالة ما إذا بقيت نصوصا من دون تحليل.

أما فيما يتعلق بالخطة العامة للبحث، فقد قمنا بإخضاع البحث إلى مبحثين:

المبحث الأول: فقد وسمناه بـ " تجارة القوافل عبر الصحراء "، في حين أدرنا مادة المبحث الثاني على دراسة طرق القوافل والمحطات التجارية التجارية المرتبطة مع فزان.

أظهرت النتائج التأكيد على دور التجارة العابرة للصحراء التي مثلت مرتكزا أساسيا بالنسبة لفزان منذ القدم. وإذا كانت هذه الحقيقة التاريخية لا تزال تحتاج إلى تجميع معطيات وشواهد تاريخية أكثر رجاحة وقوة. كما أظهرت الدراسة سبل الاستمرارية والحياة التي كانت تزخر بها فزان حتى الآن، وذلك من خلال الشواهد والمعطيات التاريخية. كما

خلصت الدراسة إلى إبراز الأسباب والعوامل والمبررات النظرية التي قادت إلى توقف الدور التاريخي لفزان لذلك فهي قابلة للأخذ والرد، وبالتالي فهي مختلف عليها اختلافات عميقة وبينة. فتجارة الرقيق والذهب والملح، والشب الكاواري، كانت تتم عبر المحطات والطرق التجارية " التجارة البينية "، بعد أن كانت فزان أضخم سوق تجارية لتجارة القوافل عبر الصحراء، يضاهيها في ذلك السوق التجارية في مدينة غدامس.
ليس هذا وحسب، بل ثمة إشارة واضحة عن نشاط التجارة المحلية، ويتعلق الأمر بالتجارة المحلية. التي تبين المدن المتقاربة في المسافة حيث أن قافلة محملة بكمية من الزيت من الجبل باعت بضاعتها في مدينة درج، وهي على الطريق بين نالوت وغدامس.
وهكذا، ومن خلال تلك الإشارة، يتبين أن هذا النوع من التجارة الداخلية كان يتم في الأسواق المحلية بين المدن القريبة، ويتجر العاملون فيها عادة بالسلع، كالحبوب، والزيت كما ورد في تلك الاشارة. هذا فضلا عن بعض السلع الأخرى التي يحتاجها رواد السوق، حيث أن البعض منها يُجمع ويُصدر للخارج، كالمنتجات المحلية من الغذاء والكساء، التي تعتمد عادة من محاصيل زراعية ومنتجات حيوانية تزخر بها فزان.
وفي تصوري أن تلك الاشارات كفيلة بإعطائنا صورة عامة عن تطور النظام في فزان تقنعنا بضرورة متابعة البحث فيما تضمنته بتفصيل أكثر وعناية أشد. ويجب ألا يفوتنا هنا أن نشير – ولو اعتراضا – إلى تطور نظام إدارة القوافل التجارية في فزان، فقد ظلت فزان ومنذ القدم محطة عبور وسوقا صحراوية ونقطة لتنظيم المعاملات التجارية بين الموانئ الشمال والعديد من المناطق جنوب الصحراء. إذ كان تجارها يمثلون بجانب معاملاتهم التجارية الخاصة حلقة وصل وتنظيم لإعداد القوافل، وإشراف ممثليهم على سلامتها، وتوجيهها وتدبير شؤونها من استيراد وإعادة تصديرفي كلا الاتجاهين.
ومما تقدم يتبين لنا أن فزان كانت تزخر بسبل الاستمرارية والحياة حتى الآن، وذلك من خلال تلك الشواهد سالفة الذكر. فقد تعاقبت على فزان دولا حكمت بدأ من الدولة الخطابية حاضرتها " زويلة "، ثم الدولة الكانمية حاضرتها " تراغن "، ثم دولة أولاد محمد الفاسي عاصمتهم " مرزق".

المبحث الأول: تجارة القوافل عبر الصحراء

يتحدث جون فرانسيس ليون في معرض توصيفه الدور التجاري الذي كانت عليه مدينة مرزق، عن جملة من الإفادات، التي سأحاول ذكر، معظمها، خاصة وأن الموضوع الأساسي الذي استأثر بالاهتمام لديه بعد دور حركة القوافل التجارية في إقليمي طرابلس وفزان عبر الطرق الداخلية التي يتصل بعضها ببلاد السودان جنوبا.
على الرغم من الأهمية الجغرافية والبشرية التي عرفت بها مدينة مرزق بين الأهالي في تلك الحقب التاريخية، وما شهدته من مبادلات تجارية بين الوافدين عليها، إلا أنها كانت تفتقر إلى المقومات الموضوعية التي تجعل من عملية المبادلات التجارية شأنا محليا ساهم في إنمائها من الداخل. ولعله الأمر الذي دفع سكانها إلى الاهتمام بمستلزمات الأمن والدفاع، وإلى الدفع بهم نحو التعرف الجيد على متطلبات السوق في كل الاتجاهات. وذلك ما تحقق لها بالفعل، لولا تلك الانتكاسات التي تعرضت لها في فترات زمنية مختلفة، مما كان يؤثر على درجة رخاء سكانها بين حين وآخر.
قد تعلم تجار القوافل التي كانت تطأ أرضها، أن أهم السلع التي تلقى الرواج الأول، إنما تتمثل في السلع التالية: الخرز بجميع أنواعه وبالذات البيضاوي الشكل الذي تعلوه بعض الزينة، والعقود الجاهزة منها وخاصة الكبيرة الحجم المثمنة الزوايا، وبالذات من الخرز الأبيض لأن الألوان الأخرى أقل قيمة[1]. ويلي الخرز في الأهمية تجارة المرجان سواء في شكل سبح أو عقود أو في حالته الخام، كما يلي ذلك إبر الخياطة والأقمشة الحريرية وبالتحديد الزاهية الألوان ثم الأقمشة الحمراء الخشنة الملمس والشيلان بمختلف أنواعها والحمراء اللون على وجه الخصوص[2].
أما السلع الرائجة الأخرى فتشمل القدور النحاسية المطلية بالقصدير، والأباريق النحاسية والأحواض التي تستخدم في غسيل الملابس. أما المرايا وبالذات الصغيرة الحجم فمطلوبة جدا وبالذات تلك التي توضع داخل علب نحاسية، وتليها السجاجيد المحلية المعروفة بالمرقوم أو السجاجيد والبسط التركية، والقفاطين الجاهزة، وخاصة إذا كانت من الحرير أو قماش القطن الأحمر والقبعات التونسية الحمراء والبرانيص[3]. أما الاتجار في الخيول فمن السلع المربحة جدا ذلك أن سعر الجواد الجيد المظهر لا يقل ثمن تبادله عن عشرين زنجية، وعلى العموم فإن الاتجار في الحيوانات، وخاصة إذا كانت لائقة المظهر تدر ربحا مرضيا وتنفذ بسرعة. يلي ما سبق التعامل مع الأساور الزجاجية ومختلف أنواع البارود، والأقمشة الكتانية، والعطور، وعلب الهدايا الصغيرة التي تستورد من كل من طرابلس ومصر[4].

ويجلب تجار القوافل من السودان مقابل السلع السابقة أشياء يكثر الطلب عليها سواء للاستهلاك المحلي أو لإعادة تصريفها إلى الأماكن التي تنشدها. وهنا لن يخفى على أحد أن أكثر ما يجد طريقه إلى أسواق فزان الرقيق الذين يشكلون السلعة الرئيسية، وخاصة الإناث لأن سعر الذكر لا يساوي عدا ثلث أو على أعلى تقدير نصف قيمة الأنثى[5].
ويشير جون فرانسيس ليون في موضع آخر إلى الطريقة التي كان يتم بها نقل الرقيق وعن كيفية بيعهم قائلا: حيث سنحت لي فرصة التعرف على الطريقة المتبعة في ضمان مرافقة بعض الرقيق للقافلة، فقد رأيت خمسة شباب في حدود الخامسة والعشرين من أعمارهم وهم مقيدون معا. إذ تثبت أيديهم اليمنى بإحكام حول رقابهم، التي وضع حولها طوق حديدي تتدلى منه حلقتان وراء الظهر ومررت بهما سلسلة أحكم إغلاق نهايتها[6]. أما عن الكيفية التي يتم فيها بيعهم، فيشر قائلا: ترددت أكثر من مرة على سوق الرقيق لأراقب المساومات التي ينعدم فيها الإحساس بآدمية الإنسان حين يقوم الدلالون الذين لا ينفكون عن الحركة في كل الاتجاهات للإعلان بصوت جهورعن آخر أسعار عرضت عليهم ثمنا لأولئك الذين يتبعونهم مهرولين كالكلاب للمرور مرات عديدة أمام التجار الجالسين على الرمال القريبة[7].
ونفهم من هذه الإشارة وغيرها، بأن الإنسان كسلعة كان يدر ربحا وفيرا في تلك الحقب التاريخية بدرجة انتشرت معها تجارة الرقيق بشكل ملحوظ، وكانت الطريقة بسيطة، إذ كان التجار يتوجهون إلى ملوك السودان في البلاد الواقعة جنوب الصحراء، فيشترون من هؤلاء الأسرى نظير الملابس والأسلحة، وغيرها من السلع التي يحملها هؤلاء التجار، فهم بذلك لا يبالون في آدمية هؤلاء. فضلا عن ذلك فإن هذه التجارة لم تكن حكرا على فئة دون الأخرى، بل تعدت فزان وغدامس ذلك بأن أصبحتا سوقا صحراويا يرتاده التجار من كل صوب وحدب، وهذه الأسواق تزخر بأنواع من السلع المستوردة " استجلاب " التي تدر أرباحا طائلة عليهم. وما تجارة الرقيق إلا مثال جلي عن ذلك.
بالإضافة إلى هذا النوع الكريه من التجارة يستورد الزبد وهو طيب ذو سمعة يحصل عليه من الزباد الذي يحفظ في قفص ويثار بشدة في فترات معينة لدرجة إفراز عرق غزير تحت الذيل حيث يجمع ويحفظ في علب جلدية صغيرة، ومعروف أن هذا الحيوان الذي يشبه القط البري ينتج ما قيمته اثنا عشر دولارا إذا ما جمع زبده ثلاث مرات، مما يعني في الحقيقة أن سعر قط من هذا النوع لا يقل عن مبادلته بثلاث أو أربعة من الرقيق[8].
كما تعتبر أثواب الزينة النسائية من البضائع الرائجة، وخاصة التي تمتاز بجمال الألوان وجودة الصناعة، كما تلاقي الثياب القطنية إقبالا هي الأخرى وينطبق هذا القول على القمصان الفضفاضة وبالذات التي تعرف بالشامية والمصنوعة من القطن الأزرق المطرز بالحرير إذ يساوي ثمن الواحد منها اثنان من الرقيق في حين يبلغ ثمن الأنواع الأخرى منها ثمانية دولارات[9]. كما يحضرون العباءات القطنية والجلود وبالذات جلود الضأن والماعز المعدة للاستعمال مثلها مثل جلود الثيران التي تستغل في صناعة قرب الماء والصنادل زيادة إلى بعض الصناعات الجلدية المزخرفة لأغلفة الوسائد والصنادل المتقنة الصنعلكل من الجنسين وقرب جلود الماعزالتي تعتبر من أفضل الأنواع في أفريقيا، وبعض جلود النعام المكسوة بريشها، وإلى بعض أنواع العسل، وجوز الهند، والفلفل والبهارات، وسن الفيل، والأكياس الجلدية، وأنواع من الصحون الخشبية واللاعق، والجلود المزخرفة، والخواتم والأساور العاجية والسلال، والذهب، والببغاوات التي تباع بأسعار باهضة قد تصل إلى عشرين دولارا، كما قد يحضرون بعض الماعز والضأن وقليل جدا من جلود النمور والأسود[10].
أما السلع التجارية التي يحملها تجار فزان إلى مصر فيأتي على رأسها إناث الرقيق، وبعض الذهب الذي يعاد تصديره، والببغاوات والفلفل الأحمر، والصودا الكاوية التي تستخرج من منطقة وادي الشاطئ وتخلط مع التبغ لمضغه، وريش النعام، وقلة من جلود الأسود والنمور، والضان السوداني الذي يلاقي رواجا في مصر، والجلود وبعض الأقمشة وكميات من تمر واحة سيوة الواقعة على الطريق إلى الإسكندرية[11].
أما التجار المصريون وأغلبهم من مواطني واحة أوجلة الكائنة على مقربة من منتصف الطريق فيحضرون على سبيل المثال لا الحصر، أنواعا عديدة من السلع التجارية مثل العمم الممتازة والحرير المصنوع أو الخام وبعض الذهب المصنع والمنسوجات الحريرية، والقطنية، وشيلان الكشمير، والقمصان القطنية وأغطية الرأس النسائية، والقدور النحاسية وبعض الجلود والتوابل والأقمشة وبعض الخرز والعقيق والأساور الزجاجية، وأكواب وأواني خزفية، وزجاج المصابيح النحاسية، والأقراط والأساور والخلاخيل وبعض البنادق والسيوف والخناجروالبارود، وبعض أنواع من الصابون، وماء الورد وبعض المسك وعطور أخرى عديدة، والصناديق المزخرفة والقبعات الحمراء، وأكثر من هذا بعض الجواري الأمهريات اللاتي يجدن اللغة العربية، ولو أن استيرادهن قل في الآونة الأخيرة لسوء الأحوال الاقتصاديةلدى أغلب سكان فزان[12].

وتقتصر السلع الواردة إلى مرزق من إقليم البورنو والجهات المجاورة له، على بعض السلع القليلة، وكالعادة تأتي تجارة الرقيق في رأس القائمة، تليها بعض الأغنام والماعز، وكميات محدودة من العسل، حيث توقف الاتجار في جلود الأسود في الماضي القريب، لإعلان السلطان عن عزمه شراء كل ما يصل منها لاعتقاده بأن استعمالها كمراتب للنوم يمنع المرأة من الحمل حتى غدا مثل هذا الاعتقاد الخاطئ وكأنه حقيقة. كما ويحمل تجار منطقة توات من الطوارق إلى مرزق بعض الذهب سواء على شكل نقود أو سبائك يحصلون عليها من مدينة تمبكتو، وبعض الأحزمة النسائية من الذهب أو الحرير، وقليل من الكحل والعطور، وأكياس الشعر، والجلود، وكميات من اللعب، وأعداد محدودة من الخيل[13].

وأما إشارة المؤرخ ناختيجال، فهي لا تختلف في هذا المقام عن سابقيه ممن اهتموا بوصف أحوال التجارة بفزان. فهو يرى أنه رغم ما تقدمه الزراعة لأهالي فزان من موارد طبيعية، فإنها لا تفي بسد جميع الحاجيات، فبالتالي لا توفر حتى الحد الأدنى من المعيش الغذائي. وهو ما لا يؤمن لأهالي منطقة فزان فرصة لتوفير مدخرات في مواجهة حالات الطواري والشيخوخة[14].

لقد جعلت سلسلة الواحات المتواصلة التي يربطها بساحل المتوسط، وبمواضع التزود بالمياه المنتشرة على طول الطريق حتى بلاد السودان وقرب فزان من بلاد الطوارق والتبو، جعلت من فزان من قديم الزمان، مركزا استراتيجيا مهما انعكست أحواله التجارية وعائداته على الأهالي لدرجة أن كل فزاني ثري كان يُعد تاجرا. ويعلق المؤرخ ناختيغال على هذا السرد أو هذا الوصف شارحا أسباب هذا النشاط التجاري إلى أن الرومان لم يتوغلوا، على حد قوله، في أقاليم السودان، بيد أن منتجاتها وصلت إليهم عن طريق فزان إلى الساحل الشمالي. وعندما جاء الإسلام لم يدفع بالسكان الأكثر حضارة إلى الصحراء فحسب، بل أقام دولا إسلامية على ضفاف بحيرة تشاد والنيجر، ونمت هناك تجارة نشطة من جميع الجهات[15].

كانت بضائع الشمال تتدفق إلى فزان من تونس وطرابلس ومصر، ومن ثم تنتقل إلى الأقاليم الصحراوية وبلاد السودان. وكما كانت منتجات هذه البلاد تنتقل وتتجمع في فزان. وقد تم استجلاب كثير من الذهب في شكل تراب وعلى شكل خواتم وسبائك صغيرة .... الخ من تمبكتو على مر العصور من إقليم أعالي النيجر إلى فزان، وكان المثقال وأجزاؤه حتى بداية القرن التاسع عشر الميلادي القيمة المعيارية السائدة[16].

ويأتي من بلاد الهوسا القرب وجلود الماعز المذبوغة والأقمشة القطنية والنيلة والببغاوات، ومن برنو علاوة على ذلك النيلة والتمر هندي وجلود النمور والأسود، ومن باقرمي ووداي البخور وقرن الحرتيت، وكان ريش النعام وعاج الفيل والرقيق وهي أكثر سلعة مربحة وواسعة الانتشار من بين جميع السلع التجارية يستورد من معظم هذه البلدان. إن الطلب الزائد على جميع هذه السلع، فيما عدا السلع المصنعة في بلاد الهوسا وتونس ومصر وعبر المتوسط حتى اسطنبول[17].

كان من نتائج حالة الانحطاط التي بلغتها بلدان الساحل الشمالي والأوضاع التجارية غير الملائمة في بلاد السودان، ونشوء منافذ بحرية أخرى لم يكن أقلها اضمحلال تجارة الرقيق، أن أدت جميعا إلى تقهقر كئيب، وكان الوقت متأخرا عندما حاقظت تونس على علاقة نشطة مع برنو. كما أن قوة طرابلس العسكرية قد ضعفت، وهكذا كانت نشاطاتها التجارية ورأسمالها. واختفت فيها روح المغامرة سواء في طرابلس أو فزان عندما عانى تكرارا طريق وداي من توقفات عديدة[18].

ومع بداية القرن التاسع عشر الميلادي ثم فتح طريق مباشر مرورا بواحة جالو إلى بنغازي أو القاهرة. ومنذ ذلك الوقت أصبحت تجارة وداي مع الساحل الشمالي في أيدي المجابرة سكان جالو. وانحطت برنو وقدرتها الإنتاجية وعلاوة على ذلك استولى الفزانيون والغدامسيون شيئا فشيئا على التجارة في غرب الصحراء مع سكانها الذين تربطهم بهم علاقات قبلية، وبهذا حصلوا على أقصر الطرق إلى بلاد الهوسا وتمبكتو، وأقاموا هنا وهناك مؤسساتهم التجارية الخاصة. وإن العقبات التي وضعت في طريق تجارة الرقيق كانت آخر ضربة تتعرض لها تجارة فزان، ولم يعد هناك في تونس ولا إسطنبول طلب على هذه السلعة المربحة كما لم يعد الطلب كبيرا من طرابلس نفسها[19].

وعندما توقفت المبيعات في إسطنبول كان من الممكن مواجهة احتياجات مصر من البلدان الوثنية المجاورة. ما من شيء يعوض الخسائر التي عانتها فزان في علاقاتها التجارية مع دول السودان. وعلى هذا فقد اختفى ازدهارها النسبي السابق. وأصبحت عائلات مرزق المشهورة بثرائها فيما مضى فقيرة تدريجيا أو تنسحب إلى بيوتها في أوجلة وسوكنة ... الخ[20].

إن تجارة فزان غير مهمة إذ ما حذفنا منها تجارة الرقيق، ولم تكن ذات أهمية في أي وقت من الأوقات. وبالتالي فلم تكن المنطقة سوى محطة عبور البضائع من طرابلس ومصر إلى الجنوب إلى برنو وبلاد السودان المتاخمة. فضلا عن كونها كانت نقطة عبور للمنتجات القادمة من وسط أفريقيا وعلى العكس من ذلك فقد زادت تجارة الرقيق، فلم تتراجع. من هنا كان يباع الرقيق نحو تونس وطرابلس ذاتها، ويؤخذ أغلب الرقيق إلى السوق في مصر، وفي أغلب الأحيان فقد كانت الدوائر العثمانية تشجع تجارة الرقيق عوضا عن منعها وذلك في المناطق البعيدة عن رقابة القناصل الأوروبيين.

التجارة الداخلية:

تعتبر التجارة من أبرز الأنشطة الاقتصادية في فزان وغدامس، أو في شمال أفريقيا والمغرب عامة نظرا لما يمثله الموقع الجغرافي لكل منها في حلقة التجارة بين أفريقيا وأوروبا عبر الصحراء من ناحية الجنوب، وعبر البحر المتوسط من ناحية الشمال. ذلك أنه من السهولة بمكان أن ندرك أن فزان قد تكون قد لعبت دورا لخدمة أغراض التجارة ، وتسهيل سبلها عبر بقاع العالم المختلفة[21].

ونحن هنا عندما نعرض للظاهرة التجارية بفزان، فإننا نجد أن مسالك هذه التجارة اتخذت اتجاهين مركزيين: إحداهما محلي، والآخر خارجي. فالأول هو ما يرتبط بغدامس من طرابلس وأفريقيا وشمال المغرب، وما يربط ذلك من طرق رئيسية وثانوية. أما الاتجاه الثاني، وهو الاتجار مع السودان جنوب الصحراء، وتجارة أوروبا التي تكون أول محطاتها الموانئ المنتشرة على الساحل مثل ميناء طرابلس[22].

ومن هنا، ولكون أن هذه الدراسة تبحث أصلا في تجارة فزان وغدامس مع البلدان المجاورة لها، فإن تركيزنا سنحصره إلى جانبين الأول ويتعلق بامكانيات غدامس ودورها في التجارة المحلية، أما الثاني فيبحث في أهمية المواد المنتجة محليا، واستغلال الفائض منها في التجارة الخارجية[23].

إن الحديث عن جغرافية ومناخية فزان، يتضح لنا في معرض ذلك أن البيئة الجغرافية لفزان امتازت بتنوع في امكانيات اقتصادياتها المتبادلة. وأن هذا التباين في الامكانيات كان سابق أسباب قيام حركة تبادل واسعة النطاق، حيث تمد المناطق المجاورة لها بما لا توفر في أراضيها من منتجات، وفي المقابل تستجلب ما تحتاجه منه[24].

هذا التنوع البيئي والاقتصادي الذي شمل الانتاج الزراعي، الحيواني، الحرفي، يؤكد لنا أن نوع السلع والمعروضات التجارية التي كان يدور حولها النشاط التجاري بفزان، إنما كانت تشمل المنتجات الزراعية التي تزخر بها هذه المنطقة، مثل الحبوب، والتمور، ومن المنتجات الحيوانية مثل الجلود والمصنوعات التي أقيمت عليها[25].

بهذا المعنى إذن اعتبرت التجارة من أهم الموارد التي اعتمدت عليها فزان، خاصة فترة حكم الدولة الخطابية بها، ذلك أنه ليس من المستبعد أن تكون قد سيطرت على الطرق التي تمر بها هذه التجارة عبر الصحراء الكبرى. فقد كانت هناك تجارة داخلية متمثلة في الأسواق المحلية التي يرتادها الناس في المحلات القريبة منهم. والتي عن طريقها كانت حركة الاستيراد والتصدير. والظاهر فيما يبدو أنه من خلال هذه الاستقراءات، لا نقف على أي إشارة تدل على تنقل تجار زويلة داخليا، باستثناء تلك الاشارات التي تدل على أن تجارها كانوا يرتادون تجارتها الخارجية.

ليس هذا وحسب، بل ثمة إشارة واضحة عن نشاط التجارة المحلية، ويتعلق الأمر بالتجارة المحلية. التي تبين المدن المتقاربة في المسافة حيث أن قافلة محملة بكمية من الزيت من الجبل باعت بضاعتها في مدينة درج، وهي على الطريق بين نالوت وغدامس[26].

وهكذا، ومن خلال تلك الإشارة، يتبين أن هذا النوع من التجارة " الداخلية " كان يتم في الأسواق المحلية بين المدن القريبة، ويتجر العاملون فيها عادة بالسلع، كالحبوب، والزيت كما ورد في تلك الإشارة. هذا فضلا عن بعض السلع الأخرى التي يحتاجها رواد السوق، حيث كان البعض منها يجمع ويصدر للخارج، كالمنتجات المحلية من الغذاء والكساء، التي تعتمد عادة من محاصيل زراعية ومنتجات حيوانية تزخر بها فزان وغدامس.

التجارة الخارجية:

تُعد تجارة فزان البعيدة المدى مع بلدان السودان من الأهمية بمكان في نشاطها الاقتصادي. فقد سعى تجارها لممارستها على نطاق واسع لما تدره من أرباح. فالسلعة التي يتم نقلها من مكان إلى أخر، " وتكون هذه السلعة قليلة معوزة لبعد مكانها أو شدة الغرر في طريقها، فيقل حاملوها ويعزّ وجودها، وإذا قلت وعزّت غلت أثمانها، ولهذا تجد التجار الذين يولعون بالدخول إلى بلاد السودان أرفه الناس وأكثر أموالا لبعد طريقهم ومشقته واعتراض المفازة الصعبة الخطرة "[27].

وبالفعل فلقد عكست هذه الأهمية شبكة المواصلات، والطرق التي تخترق فزان، والموصولة بتخوم ما وراء الصحراء. وقد أسهبت النصوص في وصف تلك المسافات الفاصلة بينها، حيث نجد أن المسافة الفاصلة بين مدينة زويلة التي تبعد عن كاوار خمس عشرة مرحلة، وتتراوح بينها وبين بلد كانم أربعون مرحلة. ومن زويلة يفترق قاصدهم وتتشعب طرقهم[28]. وهذا وضع كان له دور كبير في كون أن تجار مصراته " سويقة بني مزكود " كانوا يدخلون عبرها إلى بلاد السودان.

وإجمالا نستطيع القول إن تجارة فزان الخارجية أسهمت بحق في إنماء اقتصادها المحلي، وأدرت إلى مزيد من الرخاء والثراء على أهلها أو ساكنيها. بل إن هذا العامل نفسه قد ساعد على توفر الأمن والاستقرار الذي نعمت به في فترة الدولة الخطابية، وفي علاقاتها الخارجية الواسعة.

هكذا، يتضح لنا من خلال ما عرضنا له حول أهمية النشاط التجاري، أنه كانت توجد سلع كثيرة يتم بها التبادل التجاري، منها ما ينتج محليا، وما يمر عبر غدامس كتجارة القوافل، وكان لها نطاقها وطرقها التي تصل إليها أو تنطلق منها أو تمر بها، كما كانت لها سلعة التجارية التي تعتمد عليها في التبادل[29].

ونحن هنا متى انتبهنا إلى أهمية الموقع الذي احتله فزان عل صعيد التجارة الخارجية. فإننا سنجدها ذات خطوط متقاطعة بين شمال وجنوب وشرق وغرب غدامس. وهو تقاطع يكتسي دلالة اقتصادية من حيث تنوع المسالك التجارية للقوافل التي عرفتها التي عرفتها فزان في إنماء نشاطها الاقتصادي. وقد تضاعفت أهمية هذه الظاهرة التجارية نتيجة، لتوفر السلع المعروضة، ونتيجة أيضا لوقوع هذه على الطرق التجارية التي تربطها بالمشرق والمغرب الإسلاميين. وذلك ما يفسر لكثير من الباحثين لماذا ازدهرت الأسواق التجارية في غدامس، خاصة وأن هذه الأسواق كانت تحفل بأنواع الثمار والمحصولات الزراعية. وبالتالي فلم يكن من المستبعد أن تكون هذه الأسواق قد عرفت ازدهارا كبيرا وإقبالا واسعا من التجار عليها في كثير من الأوقات[30].

ونحن هنا في هذا الاستقراء التاريخي للمنطقة، لا نجد حرجا في القول بأن التطور التاريخي الذي اعتبرت فيه غدامس سوقا للنشاط التجاري ما بين طرابلس وتونس والسودان بمعناه القديم، أكسب سكان غدامس خيرات فائقة في أنواع التجارة. فقد مرنوا على أخلاقيات المعاملات الاجتماعية والأسعار وارتفاعها وهبوطها[31]. كما جعلتهم تلك الصلات التجارية مدفوعين إلى التعرف بالبيوتات التجارية وأصحاب رؤوس الأموال. وفي هذا تأكيد على أن غدامس قامت بدور كبير في ازدهار التجارة عبر أفريقيا، وشكلت بالفعل حلقة رئيسية من حلقات الاتصال بين أوروبا وأفريقيا باعتبارها محطة تربط بين تجار البحر وتجار الصحاري[32].

هكذا إذن اشتهرت غدامس بالمتاجرة بصنوف عدة من السلع سواء باستجلاب " استيراد "، أو بإخراج " تصدير " تلك السلع المنتجة أو المستهلكة محليا. أي بمعنى السلع المستوردة، كالرقيق، الذهب، والشب، الملح، وأما السلع المصدرة فهي كالجلود المذبوغة والخام، وتمور النخيل. ونخلص بأن تجارة " التجارة البعيدة المدى " تستوجب الخروج بسلع ضرورية إلى بلاد السودان، فتجار غدامس كانوا ينقلون إلى بلدان السودان بضائع من إنتاج محلي، كالحبوب، والتمور، والجلود، ويستجلبون سلع الاستهلاك المحلي، كالرقيق، والذهب[33].

السلع المستوردة:

ثمة إشارات تعطينا صورة واضحة وإضافة مهمة عن تلك السلع. فقد انحصرت تلك السلع في أهم سلعتين رائجتين في ذلك العصر، وهما: الرقيق والذهب " التبر ". فالبنسبة للرقيق، يشير المؤرخ اليعقوبي إلى أن أهل فزان كانوا يخرجون الرقيق السودان من الزغاويين، والميريين، والموريين، وغيرهم من الأجناس السودان لقربهم منهم[34]. أما الإصطخري فيفيد تأريخه بأن أكثر الخدم السود يأتي من بلاد السودان إلى فزان، ومنها يوزع على مختلف البلدان[35]. أما المؤرخ البكري وصاحب الاستبصار، فهما يؤكدان على أن جلب الرقيق كان يتم من بلاد السودان، ومنها يخرج إلى بلاد إفريقية وغيرها من البلاد[36].

والواقع أنه إذا كان الباحث يعاين في هذه المصادر شحا في المعطيات والمعلومات عن دخول سلعة الرقيق إلى فزان، فإن الاستعانة بما جاء في بعض النصوص التاريخية من شأنه أن يسد في هذا الخصوص[37] بعض الثغرات التي وقفنا عندها في المصادر التاريخية القديمة. ففزان وودان كانتا بوابتي بلاد الصحراء، وموردين مهمين للرقيق، ويذكر ابن عبد الحكم، أن عقبة بن نافع الفهري عندما دخلهما فرض على كل منهما ثلاثمائة وستين عبدا[38]. وهذه فيما نحسب إشارة مهمة تبين أن تجارة الرقيق في فزان كانت رائجة من قبل الفتح العربي الإسلامي لها، فضلا عن مزاولة ساكنيها لهذه التجارة التي تدر عليهم دخلا كبيرا.

كما نفهم من هذه الإشارة كذلك، بأن الإنسان كسلعة كان يدر ربحا وفيرا في تلك الحقب التاريخية، بدرجة انتعشت معها تجارة الرقيق بشكل ملحوظ، وكانت الطريقة بسيطة، إذ كان تجار فزان يتوجهون إلى ملوك السودان في البلاد الواقعة جنوب الصحراء، فيشترون من هؤلاء الرقيق. وكان هؤلاء الرقيق في الغالب من الأسرى الذين وقعوا في يد هذا الأمير أو ذاك في غاراتهم المستمرة التي كان يشنها كل منهم على الآخر، فكانوا يبيعون هؤلاء الأسرى نظير الملابس، والأسلحة، والملح، وغيرها من السلع التي يحملها هؤلاء التجار، وفي بعض الأحيان كان هؤلاء الملوك والأمراء السودانين يستغلون الزويليون، ليغيروا على أعدائهم ويتقاسمون وإياهم تلك الشحنات الآدمية دونما حرب[39].
وأما الذهب " التبر " الذي اشتهرت به بلاد السودان[40]. وكانت فزان هي المركز الصحراوي الأكثر أهمية، فقد كانت في فترة الازدهار الإباضي مركزا أساسيا لتوزيع الذهب، حيث تسنى للدولة الخطابية في زويلة من ضرب الدنانير الذهبية الزويلية، والتي عثر أخيرا على عدد منها في زويلة، وأصبحت زويلة نتيجة لإثبات مركز عملتها البنك المركزي للعمليات المصرفية المتعلقة في طول الصحراء وعرضها[41].
فجاك ثيري(thiry) يشير إلى أن زويلة قريبة من مناجم الذهب، حيث عرفت زويلة تعاونا يهوديا – إباضيا، فكان يأتيها يهود مصريون، أو يمرون بها للتزود بالذهب والأحجار الثمينة[42].
ويفهم من هذه الإشارة أن تجارة فزان لم تكن حكرا على دين ولا مذهب، بل تعدت زويلة ذلك بأن أصبحت سوقا صحراويا يرتاده التجار من كل صوب وحذب، وهذه الأسواق تزخر بأنواع من السلع المستوردة " استجلاب " التي تدر أرباحا طائلة عليها. وما الذهب " التبر " إلا مثالا جليا على ذلك.
تتأكد أهمية معدن الذهب في تجارة فزان مع بلاد السودان من خلال ذكر استخداماته في صك العملة، فقد صك الدينار بمدينة زويلة سنة 414 هـ، وليس بمستبعد أن يستغل الذهب في صناعة الحُليّ بالمدينة لتدفقه عليها[43].
وإذا ما أعتبر الرقيق والذهب أهم سلعتين سودانيتين تردان على فزان، فإن الشب كما يبدو وازاهما أهمية[44]. فنحن نجد أن الإدريسي يذكر بأن كاوار اشتهرت بالشب حتى أطلق عليه الشب الكاواري، فهو بالغ الجودة كثير الوجود يتجهز منه في كل سنة إلى البلاد بما لا يحصى كثرة، ولا يقاوم وزنا ومادته لا تنقص كبير النقص[45]. وهناك إشارة أخرى للبكري تشير إلى أن تدفقه من كاوار كان يتم عن طريق ودان وزويلة[46]. وفي السياق نفسه يؤكد جاك ثيري – أيضا – دخول هذه السلعة إلى مدينتي غات وزويلة أيضا[47].

السلع المصدرة:

لقد اشتهرت فزان بتصدير أهم سلعة تجارية إلى بلاد السودان، والتي نالت شهرة عالمية، وهي الجلود الزويلية وتُعد هذه السلعة المشهورة سلعة لا تقل أهمية عن الثبات، إذ أن تجار زويلة كانوا يبادلون مع تجار بلاد السودان بثياب قصر ممر[48]. فهي تدخل إلى تادمكة وغيرها من بلدان السودان[49]. ليس هذا وحسب، بل أن سلعا تجارية أخرى نالت شهرة كبيرة مثل تجارة الملح. حيث كانت هذه السلعة تمر عبر زويلة. فمن مصر كان يهود حلوان يأتون بالملح إلى الصحراء الليبية، وإلى فزان، ثم إلى بلدان السودان، ويبادلونه بالذهب والأحجار الثمينة. ويبدو أن تجار زويلة كانوا منظمين لدرجة أنهم كانوا يستطيعون شراء ملح الواحات الداخلة " المصرية " بالذهب الذي كان لديهم، ويعيدون بيع الملح في السودان[50].
هذا ولم تذكر أية إشارة تاريخية حول وسائل تنظيم هذه التجارة، إذ يبدو من المؤكد أن الأرباح المحققة لا تقتصر على ضرائب العبور، وأن الأمازيغ الصحراويين، قد لعبوا دورا كبيرا، تجارا وحماة لتسيير هذه التجارة. وهذا التفسير الوحيد لثرائهم بالذهب كما تخلص إلى استنتاجه بعض المصادر[51].

المبحث الثاني: طرق القوافل والمحطات التجارية المرتبطة مع فزان:

لعب الموقع الجغرافي دورا كبيرا في تحديد مسارات القوافل التجارية عبر الصحراء، حيث ارتبطت دولة الكانم والبرنو بحكم موقعها المتاخم للمغرب الأدنى مع مناطق شمال الصحراء بشبكة من الطرق التجارية منذ عصور قديمة. وبعد دخول الإسلام إلى مناطق شمال أفريقيا رأينا كيف سلك عقبة بن نافع الفهري في حملته على كوار نفس الطرق تقريبا، ومن جهة أخرى فإن اتساع الصحراء وقلة المياه بها[52] قد حتم وجود مسالك معينة للقوافل التجارية بين بلاد المغرب ومنطقة بحيرة تشاد، حيث يقول الأصطخري: " وليس لها اتصال بشيء من الممالك والعمارات إلا من وجه المغرب لصعوبة المسالك[53]. فكيف لنا أن نفسر ذلك تاريخيا ؟
قبل الإجابة على إشكال العوامل التي ساعدت على نشاط حركة القوافل بين دولة أولاد محمد الفاسي وعلاقته مع دول إفريقيا جنوب الصحراء، يتعين علينا الإشارة هنا إلى أن ما أنجز حول تاريخ فزان الحديث من أعمال من طرف

باحثين مهتمين أو متخصصين في مجال الدراسات يعد أمرا صعبا وشائكا، لتعدد الرؤى والاتجاهات. وبالتالي فإن هذا الإشكال لا يروم القيام بتقييم وجرد شامل للإنتاج التاريخي المتمحور حول فزان، وإنما يسعى إلى القيام بقراءة أولية واضحة، وتقديم بعض التوضيحات والملاحظات.

وهكذا، وجوابا على التساؤل المطروح، يمكن القول بأن هذا التراكم المعرفي المتوفر حاليا تتجاذبه عدة عوامل ساعدت على نشاط حركة القوافل بين منطقة فزان ومنطقة بحيرة تشاد منها:

1) إن ساحل البحر المتوسط في منطقة سرت يعرج إلى الداخل مما أسهم في تقريب المسافة بين هذه البلاد ووسط أفريقيا، خاصة إذا تمت مقارنة هذا الساحل بسواحل المغرب الأدنى أو الأقصى التي تبتعد كثيرا نحو الشمال عن أواسط أفريقيا. فوقوع طرابلس على البحر من جهة وتوغل الأراضي التابعة لها نحو الداخل بحيث تلامس حدودها الجنوبية أراضي بلدان الصحراء الكبرى، كان من عوامل ازدهار العلاقات التجارية بين طرابلس وبلاد الكانم والبرنو[54].

2) وقوع واحات فزان في موقع متوسط بين الساحل ومنطقة بحيرة تشاد مما جعلها محطات طبيعية تزود القوافل بما تحتاجه من ماء وزاد [55].

3) اختلاط العناصر السكانية في المنطقتين حيث أن الكثير من القبائل التي استقرت في منطقة بحيرة تشاد قد جاءت أصولها الأولى من الشمال. كما أن الكثير من قبائل بحيرة تشاد قد استقرت في منطقة فزان، ولاشك أن اختلاط العناصر السكانية قد أسهم في زيادة التبادل التجاري بين المنطقتين[56].

4) عدم وجود حواجز طبيعية تفصل بين منطقة طرابلس ومنطقة بحيرة تشاد، كالجبال العالية أو الأنهار، فالجبال الوحيدة التي تقع بين المنطقتين وهي جبال تبيستي كانت توجد ممرات كثيرة واسعة مستوية بينها (57).

هذا على وجه أول. أما الوجه الثاني، فمسلك القول فيه أن العلاقات الاقتصادية بين فزان وبلاد ما وراء الصحراء اعتبرت من أقوى الروابط في تاريخ الاتصال بين هذين الاقليمين، كما اعتبرت الطرق والمسالك التجارية أهم وسيلة لهذا الاتصال. فلنعرض إذن لهذه الطرق التي تعتبر أهم هذه العناصر[58].

هناك عدة طرق تربط بين شمال أفريقية وغربها عموما، **والطرق المشهورة هي:**

أولا: طرق التجارة:

- طريق سرت – مرزق – زويلة – كاوار[59]، وهذا الطريق يتجه من منطقة سرت ذات الموقع المتوسط بين غرب ليبيا وشرقها، ويمر في خط شبه مستقيم بالمناطق التي ذكرناها حتى يصل إلى كاوار، ومن الطبيعي بحكم تداخل بلاد كاوار مع دولة الكانم والبرنو أن يستمر هذا الطريق عبر تبيستي حتى يصل منطقة بحيرة تشاد.
- طريق طرابلس: الجفرة – سبها – زويلة – بلما – بحيرة تشاد[60] بمروره بالكثير من المناطق مثل بني وليد وأبو نجيم وودان حتى يصل إلى سبها ثم يواصل طريقه إلى جبال تبيستي حتى يصل إلى منطقة بحيرة تشاد[61].
- طريق بنغازي – الكفرة – أبشه – واداى، وهذا الطريق يصل إلى المناطق الواقعة إلى الشرق من بحيرة تشاد، ولكن هذه المناطق كانت في كثير من الأحيان تقع ضمن نفوذ دولة كانم وبرنو.
- طريق طرابلس – غدامس – غات – مرزق – تادمكه – بحيرة تشاد[62]. وهناك طريق داخلي يربط هذا الطريق بمرزق، ويتميز هذا الطريق بالربط بين دولة الكانم ومناطق المغرب الأدنى والأوسط بحكم وقوع غدامس وغات في الجهة الغربية من تلك المناطق.
- من سجلماسة إلى والاتا – تنبكت – جني – جاو.
- من تلمسان إلى توات – تنبكت.
- من تكرث وورقلة إلى جاو، يتصل هذا الطريق بالموانئ الجزائرية في الشمال.
- من واحة الجرير في جنوب تونس إلى ورقلة – سوق – غدامس.
- من مصر إلى واحة سيوة – زويلة – تادمكة – جاو – تنبكت[63].

ثانيا: طريق الحج:

تمثل مدينة مرزق ملتقى قوافل الحج الجماعي التي ازدادت بكثرة بانتشار الإسلام بالممالك السودانية التي تعبر الصحراء من الغرب إلى الشرق والعكس[64]، ومن أهمها ما يلي:

- طريق من بلاد الهوسا " كانو – كاتيسنا "- مرزق – أوجلة إلى مصر.

- طريق من برنو – بلما ثم مرزق فأوجلة إلى مصر.
- طريق وادي " وارا " – مرزق – أوجلة.
- طريق توات – غات – مرزق ثم تتصل بشبكة طرق عبر أوجلة ومنها إلى مصر[65].

وقد اختلف المؤرخون والباحثون في بدايات هذه الطرق ونهايتها، كما ركز بعضهم على أهمية بعضها دون غيرها. ونحن هنا نكتفي على سبيل التلميح والإشارة بذكر آراء بعض المؤرخين عن هذه الطرق التي قد تمد الباحث بفهم واضح عنها باعتبارها كانت وسيلة الاتصال الاقتصادي، والثقافي، والسياسي في آن واحد معا[66]. خاصة إذا نحن أخذنا بعين الاعتبار أن هذه الطرق كما تلمح كثير من المصادر أنها لم تبق ثابتة طوال قرون، لأسباب ودواعي سياسية كانت تدفع كثيرا من القوافل لتغيير مسالكها ووجهتها أحيانا على الرغم من أن الاتجاهات عموما بين تلك المسالك بقيت ثابتة كما هي من الشمال إلى الجنوب، ومن الجنوب إلى الشمال[67].

يقول البكري في هذا السياق ما بيانه: إن الماء متوفر في الصحراء ويوجد على مسيرة يومين أو ثلاثة من وادي درعة إلى وادي تارجا، ومن جبل إدراد مجابة ماؤها على ثمانية أيام، وهي المجابة الكبرى[68].

وواضح من حديث البكري إشارته إلى وفرة المياه في الصحراء الكبرى، حيث يؤكد لنا أن السفر عبر الصحراء الكبرى لم يكن أمرا شاقا وصعبا، ولم تكن الصحراء الكبرى فيافي بلا ماء وعشب، ولكنه يتوفر في أحيان كثيرة، بل توفرت فيها المياه السطحية، ولم تتعد أعماقها في أحيان كثيرة عدة أمتار، كما أن بها عيونا ومياه جارية، والبعد بين البئر والأخرى لا يتعدى اليومين أو الثلاثة، وثمانية أيام على الأكثر[69].

أما المؤرخ ابن خلدون فهو يؤكد في تاريخه على وجود آبار ارتوازية بالصحراء قائلا: " وفي البلاد الصحراوية إلى وراء العرق غربية في استنباط المياه الجارية لا توجد في تلول المغرب، وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى، وتطوي جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة فتحت بالمعاول والفؤوس، ثم تصعد الفعلة، ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقتها عن الماء فينبعث صاعدا فيفعم البئر، ثم يجري على وجه الأرض واديا[70].

ويتحدث الرحالة ابن بطوطة عن مشكلة المياه، فيقول أقاموا في تغاره عشرة أيام في جهد لأن ماءها زعاق ، وهي أكثر المواضع ذبابا، ومنها يرفع الماء لدخول الصحراء التي بعدها، وهي مسيرة عشرة أيام لا ماء فيها إلا في النادر، ويقول إنهم وجدوا ماء كثيرا في غدران أبقاها المطر، فشربوا منها وغسلوا ثيابهم[71].

وعن الطرق التجارية المهمة يذكر المؤرخ بارث " ... كانت للتجارة الخارجية خاصة، **ثلاثة طرق عظيمة:** الطريق المحاذي للنهر من الجنوب الغربي والذي تحمل فيه التجارة المجلوبة من عدة مناطق، وطريقان آخران من الشمال، أحدهما من المغرب، والآخر من غدامس[72].

واللافت للنظر أن المؤرخ **ابن خلدون** يقدر في تاريخه أنه في بداية القرن الخامس عشر الميلادي أصبح الطريق القديم الذي يمتد من ناحية السوس إلى والاتن " والاتا " مهملا وذلك نتيجة لاعتداءات الأعراب من البادية السوسية على سابلتها، فأخطروا إلى ترك تلك الطريق، ونهجوا الطريق إلى السودان من أعلى تمنطيت " توات "[73].

وبسقوط غانا على يد المرابطين انتهت أهميتها كمركز تجاري. وفي عام 1224م تحطمت غانا نهائيا، وتغير الميزان الاقتصادي وانحراف جهة الشرق إلى منحى النيجر الأوسط وأصبحت جنى، وتنبكت، وجاو مراكز تجارة الاستيراد والتصدير. وخلف ملوك مالي، ومن ثم ملوك سنغي، ملوك غانة في الاستفادة من ذلك التحول. واكتسبت طرق الشرق أهميتها بقيام سلطنتي كانم وبرنو، كما أن انهيار سلطنة سنغي وقيام ممالك الهوسا نشط الطريق الشرقي وجعله أكثر أهمية من الطرق الغربية. وأصبحت كانو هي المركز الرئيس الذي تنتهي عنده الطرق التجارية بدلا من تنبكت[74].

وبعد الاحتلال الأوروبي لسواحل أفريقيا الغربي، انحرف جانب كبير من التجارة ناحية الجنوب نحو الساحل، وأصبح القرنان السابع عشر والثامن عشر الميلادي يمثلان فترة تدهور اقتصادي بالنسبة للمناطق المسيطرة في وسط النيجر[75].

وهذه المركزية، وذلك الدور، هما ما نقف عليهما في إشارات واضحة الدلالة لدى الشيخ الأمين عوض الله تأكيدا على أهم المراكز التجارية المغربية قاطبة. التي أجمل القول فيها إجمالا على الشكل الآتي:

سجلماسة:

تعتبر سجلماسة مركزا تجاريا مهما ومنها تسير القوافل إلى تغازه، وقد ذكر عنها ابن حوقل بأنها كانت مركزا تجاريا مهما، وبها أرباح متوافرة، ورفاق متقاطرة وأهلها قوم سراء مياسير، وأبنيتها كأبنية الكوفة[76]

وحافظت سجلماسة على وضعها العام لعدة قرون، فبينما ذكر ابن حوقل أهميتها التجارية في القرن العاشر الميلادي، نجد أن البكري قد ذكرها كذلك في القرن الحادي عشر الميلادي، ووصفها المقدسي[77] بأنها صحيحة الهواء، كثيرة التمور والأعناب والزبيب والفواكه والحبوب والرمان، كثيرة الغرباء، وبها معادن الذهب والفضة. ويقول عنها الرحالة ابن بطوطة[78] أنها من أحسن المدن وبها التمر الكثير الطيب، وهي تشبه مدينة البصرة في كثرة التمر، ويقول: إن المسافة بينها وبين تغازة خمسة وعشرين يوما.

تغازة:

يصفها لنا الرحالة ابن بطوطة بأنها قرية لا خير فيها، ومن عجائبها أن بناء بيوتها ومسجدها من حجارة الملح، وسقفها من جلود الجمال، وبها معدن الملح، يحفرعليه في الأرض فيوجد من ألواح ضخمة متركبة يحمل الجمل منها لوحين، ويضيف ابن بطوطة: أن قرية تغازة على حقارتها يتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التبر[79].

وكانت تغازة تابعة لقبيلة سوفة، وبسبب اهتمام السودانيين عادة بمعدن الملح، فقد قام أهالي سنغي باحتلالها في عهد الحاج أسكيا محمد سلطان سنغي[80].

تكدا:

اشتهرت تكدا بانتاج النحاس الذي يستخرج من مناجمها ويحمل إلى بلاد السودان، ويسبك في بعض الأحيان وتصك منه العملة، ومن تكدا تسير القوافل إلى برنو، حيث تجلب الجواري والرقيق والثياب، وتصدر منها السلع إلى المغرب[81]. والنحاس الذي يعدن في تكدا، يحمله التجار إلى سلطنة مالي، حيث يقوم أهلها بحمله إلى مناطق الذهب لاستبداله بما يعادل ثلثي وزن النحاس ذهبا خالصا[82].

توات:

وهي من المراكز التجارية المهمة، وقد ذكرها المؤرخ ابن خلدون قائلا: " فمنها على ثلاث مراحل قبلة سجلماسة، وتسمى وطن توات، وفيه قصور متعددة تناهز المئتين، آخذة من الغرب إلى الشرق، وآخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيت، وهو بلد متبحر في العمران، وهو ركاب التجار المترددين من المغرب إلى بلد مالي من السودان لهذا العهد[83].

وذكر توات الحسن الوزان الفاسي حيث يقول: " ... تحتوي توات على أربعة آلاف عائلة، وبها تربة خصبة لزراعة الحبوب والشعير، ويزرعون قصب السكر بكميات وفيرة تكفي حاجتهم، ويصدرون الباقي لتجار المغرب، وفاس، ولبلاد السودان، وعندهم كمية كبيرة من التمر، ولا يستعملون أية عملة بجانب الذهب الذي يستخرج من أرضهم ذاتها "[84].

وتعتبر توات مركز انعاش لتجار القوافل، إذ تقع في واحة غنية، وتزود التجار بالغذاء والماء العذب، وتوفر الكلأ لجمالهم، كما يتم بها تغيير الجمال والأدلاء، وغالبا ما يقوم تجار السودان، وتجار الساحل الشمالي بعرض بضاعتهم بها[85].

غدامس:

تقع مدينة غدامس على مسافة 500 كم إلى الجنوب الغربي من طرابلس، وتتمتع بموقع استراتيجي جعلها مركزا تجاريا مهما منذ العهد الروماني، وفي العهد الإسلامي لعبت غدامس دورا مهما في تسهيل مرور القوافل التجارية بين الشمال والجنوب خاصة وأنها تقع في مفترق الطرق التجارية القادمة من تونس وطرابلس، وقد تحدث المؤرخون القدامى عن هذه المدينة بما يؤكد أهميتها التجارية[86].

فالمؤرخ الحسن الوزان الفاسي يصفها بأنها منطقة كبيرة مسكونة حيث القصور العديدة والقرى المأهولة، مؤكدا الدور التجاري للمدينة وتأثيره على اقتصادها بقوله: " سكانها أغنياء لهم بساتين نخل وأموال لأنهم يتجرون مع بلاد السودان ". أما القزويني فإنه يتحدث عن الجلود الغدامسية، ويصفها بأنها من أجود الدباغ لا شيء يفوقها في الجودة، كذلك مما يدل على اهتمام أهل غدامس بالتجارة وجود جالية كبيرة من أهل غدامس في تمبكتو[87]. وكانت غدامس مركز تجمع للقوافل القادمة من طرابلس وتونس ثم تتفرع منها الطرق حيث يتجه بعضها إلى بلد تادمكا وغيرها من بلاد السودان[88]، حيث ارتبطت غدامس تجاريا بمدينة تينبكت وجاوه واقدز فصارت محطة مهمة في بداية الطريق عبر المنطقة الوسطى من الصحراء الكبرى إلى السودان، بينما يتجه بعضها الآخر ومنها إلى أغاديس ثم إلى كانم ويتجه بعضها إلى مرزق ومنها إلى بلما ثم بورنو[89]، ولم يكن دور غدامس مقتصرا على اعتبارها محطة لطرق القوافل،

بل كان أهلها تجارا يسيرون بعض القوافل لحسابهم. وقد تحدث ابن بطوطة عن مرافقته لقافلة كبيرة من الغدامسيين من كوكو على نهر النيجر إلى تكدا[90].

إذن فموقع مدينة غدامس قد جعلها حلقة وصل ليس بين الساحل والسودان فقط، بل لعبت دورا في الاتصال التجاري بين المغرب الأدنى والأوسط، بالتقاء القوافل التجارية على أرضها وانطلاقها منها[91].

كانت غدامس، بتوصيف أدق، مركزا تجاريا مهما، وتتفرع منها عدة طرق تجارية، وتصل إليها القوافل القادمة من طرابلس وجنوب تونس والجزائر، وتتجمع فيها، وبعض هذه القوافل يسافر غربا عن طريق توات، ومنها إلى تنبكت، وبعضها يسافر مباشرة إلى غات وكانو، والفرع الثالث يتجه اتجاها جنوبيا غربيا إلى مرزق، ومنها إلى بورنو[92].

وقد زارها الرحالة جون فرانسيس ليون عام 1825م، ودهش بطريقة تجارها في أجواء محاسباتهم التي تتمشى مع الأساليب الحسابية الحديثة، فقد كانوا يحسبون تكلفة البضاعة للأقطار المتعددة، وتكلفة الضرائب ويضعون في اعتبارهم المخاطر التي تتعرض لها بضائعهم، كما يضعون نسبة مئوية لما ستجنيه تجارتهم، ولهم فواتير حسابية، كما يقومون بعقد عقود شفاهية[93].

وعلى الرغم من أن الرحالة جون فرانسيس ليون قد زار غدامس في القرن التاسع عشر الميلادي، إلا أن التقاليد التجارية تستمر لعدة قرون، ونستشف من حديث ليون: الوعي المبكر الذي كان يتمتع به تجار غدامس[94].

مرزق:

تقع المدينة إلى الجنوب الغربي من سبها وتبعد عنها بحوالي 180 كم[95]، وقد ساعدها موقعها المتوسط على أن تكون إحدى المحطات الرئيسية في طرق القوافل، حيث كان يمر بها الطريق الذي يبدأ من طرابلس حتى يصل إلى منطقة بحيرة تشاد، كذلك كان يمر بها فرع من الطريق الذي يبدأ من تونس إلى غدامس وعند وصوله إلى مدينة غات يتجه فرع منه إلى مرزق[96].

لقد تمتعت مرزق ببعض الاستقرار السياسي في عهد دولة أولا محمد حيث انتعشت الحياة الاقتصادية وازدهرت تجارة القوافل، وأصبحت مرزق مصدرا لتصدير الحبوب، كما امتلأت أسواقها بالمنسوجات الحريرية والأسلحة والزجاج والعطور، ونشطت تجارة الرقيق. ويرى بارت (barth) أن صلة مرزق بالسودان الغربي عن طريق غدامس توات أكثر من صلتها بإقليم بورنو[97]، وقد اعتمد في هذا الرأي على وقوع مرزق في الجانب الجنوبي الغربي من إقليم فزان وارتباطها بمدينة غات الواقعة قريبا من مناطق المغرب الأدنى والأوسط. ويرى الباحث " بارت " أن صلة مرزق بدولة الكانم والبرنو لا تقل عن صلتها بالسودان الغربي بحكم موقعها المتوسط الذي تمر به طرق القوافل من طرابلس إلى منطقة بحيرة تشاد[98].

اشتهرت مرزق، عاصمة دولة أولاد محمد الفاسي، كمركز تجاري لبلاد البرنو، غير أن بارت ذكر أن لها صلة ببلاد توات، وغدامس، وأن صلتها بالسودان الغربي أكثر من صلتها بإقليم برنو. وقد ظلت مرزق كما كانت منذ تأسيسها، وحتى القرن الثامن عشر الميلادي المركز الرئيسي لإنعاش قوافل التجارة القادمة من غدامس وطرابلس إلى بلاد الهوسا والبرنو، المركز الرئيسي لتجارة الرقيق في الصحراء[99].

غات:

تقع غات في الجهة الغربية من إقليم طرابلس وترتبط مع الشمال بغدامس، وقد لعبت غات نفس الدور الذي لعبته مدينة غدامس كحلقة وصل بين الشمال والجنوب والشرق والغرب بحكم موقعها الفريب من المغرب الأدنى والمغرب الأوسط مما جعلها من المراكز التجارية المهمة التي تلتقي فيها طرق القوافل[100]. ومن جهة أخرى فإن موقع مدينة غات في منتصف المسافة تقريبا بين طرابلس ومناطق بحيرة تشاد ونهر النيجر قد جعلها محطة مهمة لطرق القوافل للإستلاحة والتزود بالماء والزاد. فإذا كانت المسافة بين طرابلس وكانو تقطعها القوافل في 125 يوما، فإن المسافة بين طرابلس وغات تقطعها في 55 يوما[101]. وقد ساعد على نجاح مهمة غات كحلقة وصل، أن قبائل الطوارق المنتشرين بالمنطقة حرصوا على سلامة القوافل التجارية لارتباط مصادر عيشهم بهذه القوافل، خاصة إذا أدركنا أن تجارة القوافل يرتبط استمرارها بوجود الأمن في المناطق التي تمر بها[102].

زويلة:

تقع مدينة زويلة إلى الجنوب الشرقي من سبها وتبعد عنها بحوالي 170 كم[103]. وقد لعب موقع زويلة المتوسط دورا كبيرا في ازدهار تجارة القوافل بين الشمال والجنوب. وقد عبرالأصطخري عن هذا الدور بقوله: " وأما زويلة فإنها من حد المغرب وهي مدينة وسطة لها كورة عريضة وهي متاخمة لأرض السودان"[104]، ويؤكد الحموي هذا

الموقع المتوسط في قوله: " تقع زويلة مقابل أجدابيا في البر بين بلاد السودان وأفريقيا، وهي أول حدود السودان"[105].
ففي هاتين الإشارتين من المصادر القديمة ما يؤكد أن زويلة متاخمة لبلاد الكانم والبرنو، وهو ما منحها مكانة تجارية كبيرة باعتبارها أولى حلقات الاتصال بين الكانم والبرنو وشمال أفريقيا. ويُعد الطريق المار من زويلة إلى بلاد السودان من أقدم الطرق التي ربطت شمال الصحراء بجنوبها، حيث أشار المؤرخ اليعقوبي في فترة مبكرة إلى هذا الطريق الذي يخرج من سرت إلى ودان ثم زويلة حتى يصل إلى كاوار[106].
إن ما يدل على شهرة زويلة التجارية في ذلك الوقت وجود تجار من مناطق بعيدة عن أفريقيا حيث ذكر اليعقوبي أن بها أخلاطا من أهل خرسان والبصرة والكوفة[107] ولا شك ان ما جلب هذه العناصر إلى منطقة وسط الصحراء لم يكن سوى التجارة، وبذلك أصبحت زويلة مركزا للتجار العرب، كما وجد فيها الأباضية مكانا مناسبا للسيطرة على تجارة القوافل[108]، وقد اشتهرت زويلة بالسيطرة على تجارة الرقيق، كما اشتهرت بالتجارة في الجلود حتى اشتهرت الجلود الزويلية[109].

بلما:

تُعد هذه المدينة عاصمة إقليم كاوار الذي يقع بين منطقة فزان وبين منطقة بحيرة تشاد، وكما تُعد هذه المدينة إحدى المحطات التجارية التي تمر بها طرق القوافل، فوقوعها على الطريق الذي يبدأ من طرابلس وينتهي عند دولة الكانم قد اكسبها أهمية تجارية أدت إلى ازدهار هذه المدينة التي وصف الحموي سكانها بأنهم " يلبسون ثياب الصوف، وقي بلادهم أسواق ومياه جارية ونخل كثير"، وقد أكد الإدريسي مرور الطرق التجارية إلى بلاد الكانم بمنطقة كاوار وذكر بعض المحطات التجارية في هذه المنطقة. وقد أسهم أهل كاوار في تجارة القوافل بإنتاج سلعة مشهورة هي الشب الكاواري الذي يصفه الأدريسي بأنه في نهاية الجودة وهو كثير الوجود، ويتجهز به في كل سنة إلى سائر البلاد بما لا يحصى كثره[110].
تلك كانت أبرز المحطات التجارية على طرق القوافل بين بلاد المغرب ودولة الكانم والبرنو. وهناك بعض المحطات الثانوية التي لا تمر بها القوافل إلا مرورا عابرا مثل ودان وسوكنة وسبها وغيرها من المحطات الصغيرة. ولعل ما ميز المحطات الرئيسة أنها كانت أسواقا للتبادل والتجارة ومراكز لانطلاق القوافل إلى الشمال حيث بلاد المغرب أو إلى الجنوب حيث دولة الكانم والبرنو[111].

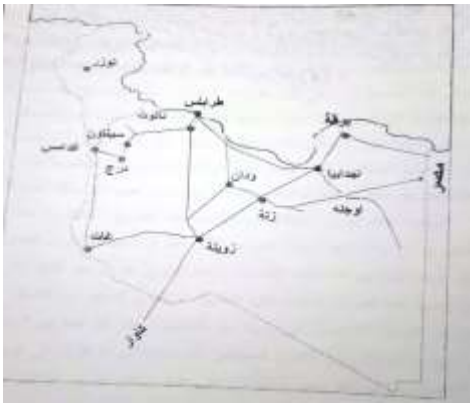

محطات وطرق القوافل
نقلا عن جاك ثيري – تار

محطات وطرق القوافل داخل الإقليم الليبي
نقلا عن جاك ثيري ((بتصرف)) – تاريخ الصحراء الليبية

المصادر والمراجع

1) ليون، جون فرانسيس، 1976م، مدخل إلى الصحراء من طرابلس إلى فزان، مذكرات الرحالة الإنجليزي 1818م، ترجمة مصطفى جودة، ليبيا – تونس، الدار العربية للكتاب، ص 99.
2) نفسه، ص ص 99، 100.
3) نفسه، ص 100.
4) نفسه، ص 100.
5) نفسه، ص 100.
6) نفسه، ص 137.
7) نفسه، ص 142.
8) نفسه، ص 101.
9) نفسه، ص 101.
10) نفسه، ص 101.
11) نفسه، ص 101، 102.
12) نفسه، ص 102.
13) نفسه، ص 102، 103.
14) ناخيتجال، جوستاف، 2007ف، الصحراء وبلاد السودان، ترجمة عبد القادر مصطفى المحيشي، طرابلس – ليبيا، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ص 225.
15) نفسه، ص 225.
16) نفسه، ص 225.
17) نفسه، ص 226.
18) نفسه، ص 226.
19) نفسه، ص 227.
20) نفسه، ص 227.
21) مفتاح، صالح معيوف، 2000ف، جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية من منتصف القرن الثاني الهجري إلى أواخر القرن الثالث الهجري، رسالة دكتوراه، غير منشورة، الرباط: جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الانسانية، ص 56.
22) نفسه، ص 56.

23) شرف الدين، لمياء محمد سالم، 2001ف، " تجارة طرابلس مع بلاد ما وراء الصحراء في العصر الوسيط "، مجلة البحوث التاريخية، السنة الثالثة والعشرون، العدد الثاني، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ص 158.
24) مفتاح، صالح معيوف، جبل نفوسة، ص 57.
25) نفسه، ص 56، 57.
26) نفسه، ص 57.
27) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، 1992م، العبر وديوان المبتدأ أو الخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن ذوي السلطان الأكبر، الجزء الثالث، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ص 439.
28) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح، 1960م، تاريخ البلدان، بيروت - لبنان، ص_345؛ وكذلك البكري، المسالك والممالك، الجزء الثاني، ص 257، 258.
29) مفتاح، صالح معيوف، جبل نفوسة، ص 58.
30) المصراتي، علي مصطفى، بدون تاريخ " غدامس "، مجلة الحصاد، بدون عدد، منشورات أسو 2 طبع في المانيا الغربية – أنتريرنت، شركة محدودة - بون، ص_61.
31) نفسه، ص 61.
32) نفسه، ص 61.
33) شرف الدين، لمياء محمد سالم، تجارة طرابلس مع بلاد ماوراء الصحراء، ص_158.
34) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح، 1960م، تاريخ البلدان، بيروت - لبنان، ص 345.
35) الإصطخري، أبي إسحاق الفارسي، بدون تاريخ، المسالك والممالك، بيروت – لبنان، دار صادر، ص 40، 44.
36) البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز، 1992م، المسالك والممالك، تحقيق وتقديم أدريان فان ليوفان وأندري فيري، الجزء الثاني، الدار العربية للكتاب، طرابلس – تونس، ص 658؛ وكذلك مؤلف مجهول، 1985م، الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء - المغرب، ص 146.
37) شرف الدين، لمياء محمد سالم، تجارة طرابلس مع بلاد ما وراء الصحراء، 158.
38) ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن القرشي المصري، 1995م، فتوح مصر والمغرب وأخبارها، القاهرة – مصر، مكتبة الثقافة الدينية، ص222.
39) أيوب، محمد سليمان، بدون تاريخ، مختصر تاريخ فزان منذ أقدم العصور وحتى عام 1811م، طرابلس – ليبيا، المطبعة الليبية، ص 85؛ وكذلك حركات، إبراهيم، 1981م، " دور الصحراء الأفريقية في التبادل والتسويق خلال العصر الوسيط "، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ص 219.
40) الإصطخري، أبي إسحاق الفارسي، المسالك والممالك، ص 45.
41) أيوب، محمد سليمان، مختصر تاريخ فزان، ص90؛ وكذلك شرف الدين، لمياء محمد سالم، تجارة طرابلس مع بلاد ما وراء الصحراء، ص 154.
42) ثيري، جاك، تاريخ الصحراء الليبية، ص 691.
43) شرف الدين، لمياء محمد سالم، تجارة طرابلس مع بلاد ما وراء الصحراء، ص154.
44) نفسه، 154.
45) الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسيني، بدون تاريخ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الجزء الأول، القاهرة – مصر، مكتبة الثقافة الدينية ، ص ص 116، 117.
46) البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز، المسالك والممالك، ص 660.
47) ثيري، جاك، تاريخ الصحراء الليبية، ص 540.
48) البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز، المسالك والممالك، ص 658.
49) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح، تاريخ البلدان، ص 345.
50) ثيري، جاك، تاريخ الصحراء الليبية، ص 642.
51) نفسه، ص 643.
52) ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، بدون تاريخ، صورة الأرض، بيروت – لبنان، دار صادر، ص 100.
53) الإصطخري، أبي اسحاق الفارسي، المسالك والممالك، ص 40.

54) شرف الدين، لمياء محمد سالم، نفسه، ص 143.
55) الرباصي، مفتاح يونس، ازدهار تجارة القوافل، ص 92.
56) نفسه، ص 92.
57) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح، تاريخ البلدان، ص 26.
58) عوض الله، الشيخ الأمين، تجارة القوافل والسودان الغربي، ص 74.
59) الرباصي، مفتاح يونس، ازدهار تجارة القوافل ، ص 92.
60) بونو، سلفادور، 1981م، تجارة طرابلس عبر الصحراء، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ص 83.
61) حركات، إبراهيم، 1984م، المغرب عبر التاريخ، الدار البيضاء – المغرب، دار الرشاد، ص 30.
62) الرباصي، مفتاح يونس، ازدهار تجارة القوافل، ص 93.
63) عوض الله، الشيخ الأمين، تجارة القوافل والسودان الغربي، ص 74.
64) حمادي، منصور السنوسي وساسي، أحميد محمد، 2004ف، " مدينة مرزق القديمة – الواقع والتاريخ "، ندوة المحافظة على المدن القديمة، بنغازي - ليبيا، ص 4.
65) نفسه، ص 4.
66) عوض الله، الشيخ الأمين، تجارة القوافل والسودان الغربي، ص 74، 75.
67) موسى، عز الدين عمر، 1983م، طريق عبر الصحراء الليبية من المغرب الأقصى إلى مصر، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، ص 110.
68) البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز، المسالك والممالك، ص 163، 164.
69) عوض الله، الشيخ الأمين، تجارة القوافل والسودان الغربي، ص 75.
70) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر، الجزء السابع، ص 119.
71) ابن بطوطة، الرحلة، الجزء الثاني، ص 192.
72) Barth h.travels , discoveries in north, central African vol.
73) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر، الجزء السادس، ص 118.
74) عوض الله، الشيخ الأمين، تجارة القوافل والسودان الغربي، ص 77.
75) نفسه، ص 77.
76) نفسه، ص 78.
77) المقدسي، 1909م، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثانية، ليدن، ص 132.
78) ابن بطوطة، الرحلة، الجزء الثاني، ص 673.
79) نفسه، ص 764.
80) عوض الله، الشيخ الأمين، تجارة القوافل والسودان الغربي، ص 79.
81) ابن بطوطة، الرحلة، الجزء الثاني، ص 209.
82) عوض الله، الشيخ الأمين، تجارة القوافل والسودان الغربي، ص 79، 80.
83) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر، ص 17، 18.
84) عوض الله، الشيخ الأمين، تجارة القوافل والسودان الغربي، ص 80.
85) نفسه، ص 80.
86) الرباصي، مفتاح يونس، ازدهار تجارة القوافل، ص 94.
87) عوض الله، الشيخ الأمين، تجارة القوافل والسودان الغربي، ص 80، 81.
88) ابن بطوطة، الرحلة، الجزء الثاني، ص 709.
89) بو عزيز، محي، 1984م، طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى، " تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، بغداد – العراق، معهد البحوث والدراسات العربية، ص 131.
90) الرباصي، مفتاح يونس، ازدهار تجارة القوافل، ص 95.
91) نفسه، ص 95.

92) عوض الله، الشيخ الأمين، تجارة القوافل والسودان الغربي، ص80، 81.
93) نفسه، ص 81.
94) نفسه، ص 81.
95) الرباصي، مفتاح يونس، ازدهار تجارة القوافل، ص 95.
96) نفسه، ص 95.
97) نفسه، ص 95.
98) نفسه، 95.
99) عوض الله، الشيخ الأمين، تجارة القوافل والسودان الغربي، ص 81.
100) الرباصي، مفتاح يونس، ازدهار تجارة القوافل، ص 95، 96.
101) الإصطخري، أبي إسحاق الفارسي، المسالك والممالك، ص 30.
102) الرباصي، مفتاح يونس، ازدهار تجارة القوافل، ص 95.
103) نفسه، ص 95.
104) نفسه، ص 95.
105) الطيبي، أمين، 1998م، أثر الإسلام الحضاري في غانا ومالي في العصر الوسيط، ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء، طرابلس – ليبيا، ص 124.
106) الحموي، أبو عبد الله ياقوت، بدون تاريخ، معجم البلدان، الجزء الرابع، بيروت - لبنان، دار بيروت للطباعة والنشر، ص 90.
107) الرباصي، مفتاح يونس، ازدهار تجارة القوافل، ص 96.
108) نفسه، ص 96.
109) نفسه، ص 96.
110) الحموي، أبو عبد الله ياقوت، معجم البلدان، الجزء الرابع، ص 90.
111) الرباصي، مفتاح يونس، ازدهار تجارة القوافل، ص 97.